مراكز الإشعاع العلمي بالسودان الغربي وأهم العلوم المتداولة

[ق ٩ - ١٠هـ/ق ١٥ - ١٦م]

د. سكاكو حورية / جامعة الجيلالي - ليابس □ الجزائر □

د. معازيز عبدالقادر / المركز الوطني للبحوث □

في عصور ما قبل التاريخ و الإنسان و التاريخ / الجزائر □

الملخص

لقد أدى دخول الإسلام إلى الصحراء -عامة- وإلى مناطق السودان الغربي - خاصة- واعتناقه من قبل سكان تلك الربوع إلى تغيير جذري في جميع مجالات حياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، برزت مظاهر تلك التأثيرات بشكل كبير في الجانب التعليمي، والذي أبدى من خلاله سكان بلاد السودان اهتماما كبيرا بالعلم والمعرفة، ما أدى إلى تنشيط حركة طلبه العلم و العلماء، والذين حرصوا على الاتصال بمنابع العلم الأولى في أرجاء العالم الإسلامي.

**Western centers of the radiation scientific in Sudan and
the important important flags circulating [C 9H – 10H /
15A.D – 16A.D]**

Dr. Sekkakou Houria/ L'Université Djillali Liabes Algeria

Dr .Maziz Abdel kader CNRPAH Algeria

**National Research Center for Prehistoric "Anthropology and
History – Algeria**

Abstract

The entry of Islam into the Sahara-in general-and to the regions of the western Sudan-especially-and its embrace by the inhabitants of those areas has radically altered all areas of their cultural, social, economic and political life, the manifestations of these influences have emerged dramatically in the educational aspect, ethrough which the inhabitants of The country of Sudan is very interested in scienc and knowledge, which has led to the activation of the movement of students of science and scientists, who have been keen to contact the sources of the first flag throughout the Islamic world.

لقد برز اهتمام سكان بلاد السودان بالعلم والمعرفة من خلال إقامة المؤسسات التعليمية، باختلاف أنواعها، والتي أصبحت مراكز إشعاع ثقافي في حواضر السودان الغربي، وسنحاول من خلال هذه الدراسة التركيز على أهم تلك المؤسسات والهيكل و التي ساهمت بحق في تنشيط الحياة الفكرية بتلك المناطق، وتبادل العلوم العقلية والنقلية.

١ - المساجد:

كانت المساجد إلى جانب الكتاتيب من أهم مراكز التعليم الإسلامي في العصور الأولى، حيث قامت بدور تربوي كبير^(١)، إضافة إلى أنها شكلت مركزا للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية.

وفي مناطق السودان الغربي^(٢)، اشتهرت مجموعة منها بذلك الدور، إلى جانب كونها مركزا للعبادة، وأهما:

▪ مساجد تومبوكتو^(٣):

كانت تضم ثلاث مساجد هامة: المسجد الجامع الكبير، مسجد سنكري، مسجد سيدي يحيى، وهذه المساجد الثلاثة أصبحت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى، ومراكز ثقافية وتربوية، حيث تحرَّج منها القضاة والعلماء والأدباء والمؤرخون^(٤).

وقد كان جامع سنكري (Sankoré)، بتومبوكتو يتصدر منارات العلم والعبادة، لما بلغه من مستوى علمي رفيع، حيث انفتح على العديد من مراكز العلم في الأندلس، وشمال إفريقيا في فاس^(٥)، ومراكش^(٦) وبجاية^(٧)، و تلمسان، وغيرها من مراكز الحضارة^(٨).

هذا إضافة إلى مسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي^(٩)، المشيد في مدينة أقدز، وهناك مساجد أخرى، وهي عديدة بُنيت من قبل الأسقيا داوود في عدد من المقاطعات، فنجد: مسجد الملك الوتر، مسجد الحاج قطب أسدارغوا، مسجد وهاب، مسجد بور، مسجد دار السلام...^(١٠).

ووجود هذه المساجد بكثرة فيها يدل على اهتمام سكانها بالعلم والعلماء، باعتباره المنطلق الأساسي لعملية التعليم، ففي ذلك قال الناصري: "أهل مدينة تومبوكتو ممن لهم الوجاهة الكبيرة.... بحيث تعددت فيهم العلماء والأئمة والقضاة وتوارثوا رئاسة العلم مدة طويلة"^(١١)، وقال السعدي: "ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتى..."^(١٢)، وقال الوزان أيضا: "ولهم مساجد كثيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود المدارس، وهم أكثر تحضرا وذكاء من جميع السود..."^(١٣).

▪ مسجد جنى^(١٤):

تعد جنى أقدم مركز ثقافي في السودان الغربي، حيث يعود الفضل في ازدهارها ثقافيا إلى علماء من المغرب الإسلامي، ومصر إلى جانب بعض العلماء السودانيين، وقد اشتهرت المدينة بمسجدها الذي تم بناؤه على تصميم أحد المغاربة، يدعى: معلوم إدريس، حيث أصبح هذا المسجد مركزا هاما للتعلم، أو لتعليم الفقهاء من أمثال: مورد ماغاونوكوي (Mourimagha - kankoi) وفوديا محمد فوديكيسانوونوكري (Mohamed FoudikiSanouelouakore)، وكانت هذه المدينة مدينة جامعية، كونها مهد القاضي محمود بن أبي بكر باغا يوغو (BaghaYogho)، والد العلمين الجليلين محمد وأحمد، الذين كان لهما الفضل في ترسيخ الثقافة الإسلامية ببلاد السودان^(١٥).

▪ مسجد غاو^(١٦):

وهي مدينة التي اتخذت منها دولة سانغاي عاصمة لها، حيث كانت مركزا ثقافيا حقيقيا، وكان المسجد الجامع بها بمثابة مركز للتعليم، وقد عرفت هذه المدينة ازدهارا كبيرا، خاصة في عهد الأسقيين، الذين اعتنوا بالعلم والعلماء، وأقاموا المكتبات ونسّاخا لنسخ المخطوطات.

والى جانب هذه المساجد المنتشرة بتومبوكتو وجنى وغاو، كانت توجد مساجد أخرى صغيرة، والحياة الثقافية في كل منها، إنما كانت صورة مصغرة عن الحياة في المدن الكبرى^(١٧).

وبذلك شكلت المساجد مركزا إشعاعيا دينيا وتعليميا، ساهم في تطوير الحياة الثقافية بهذه الربوع، وذلك ما يتضح من خلال اهتمام السودانيين بإقامتها وتوسيعها^(١٨).

٢- المدارس والكتاتيب:

كان السودانيون يولون أهمية كبرى لتعليم أطفالهم، و إرسالهم إلى الكتاتيب، فكان من أبرز محاسنهم "عنايتهم بتحفيظ القرآن الكريم لأولادهم...."^(١٩) منذ طفولتهم وكمرحلة أولى من التعليم.

وقد أحصي في ق١٦م، و في مدينة تومبوكتو لوحدها، ما يناهز ١٨٠ كتابا، لتعليم الصغار، بالإضافة إلى المساجد و المنازل الخاصة، التي كانت تشكل تجمعات علمية أقيمت بها حلقات للدرس و المناظرات^(٢٠).

وفي المراحل الأولى من التعليم، كان السودانيون يرتادون الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم، وقد اختلفت تسميتها في غرب إفريقيا باختلاف قبائلها، فقبائل الوُلوْف تسميها: دارا، والمندينغ يسمونها كارا، وقبائل التكرور يسمونها ديلاجالنتي، أما الشرسة فيسمون معلم الكتاتيب القرآنية مَعَالَم، وهو تحريف لكلمة معلّم.

وعندما كان يصل عمر الصبي إلى السابعة أو ما دونها يعهد به والده إلى معلمي الكتاتيب لتلقيه المبادئ الأساسية في القراءة و الكتابة باللغة العربية وتحفيظه النصف الأخير من القرآن الكريم و تدريبه على الصلوات الخمسة، حيث يتعلم الصبي القرآن الكريم عن طريق الألواح الخشبية تحت مراقبة المعلم، حيث يكون الصبي خلال هذه المرحلة المهمة، قد استوعب قسما مهما من قواعد اللغة والنحو.

وقد كانت هذه الطريقة مشابهة إلى حد كبير الطريقة المتبعة في كتاتيب و مدارس الشمال الإفريقي، وكان المعلم بالاتفاق مع أهل القرية أو المدينة يحصل بموجبه من أسر الأطفال على مبلغ مالي كل أسبوع، فضلا عن الهدايا التي يأخذها بمناسبة ختم الطفل للقرآن الكريم^(٢١).

٣- المعاهد العليا:

خلال هذه المرحلة كانت تدرس المواد على شكل اختصاص، و تتناول بتفصيلات واسعة مستندة على أمهات الكتب التي عرفت لدى المسلمين حتى ذلك الوقت^(٢٢)، وتعتبر هذه المرحلة من المراحل المتقدمة في السلم التعليمي، و تعتمد على الحالة المادية للطالب، و لذلك كان الطلبة المتمكنون ماديا، وحدهم الذين يلتحقون بالمعاهد العليا لمواصلة تكوينهم العالي، حيث برامج التعليم في هذه المرحلة يقوم فيها بتحصيل العلم وفق ما تستدعيه الأعراف الإسلامية القائمة على تعميق المعارف حول القرآن الكريم، وتعاليم السنة النبوية الشريفة، وتتبع تاريخ الفقه بالاعتماد فيه على المذهب المالكي، وتاريخ السير، والنحو، واللغة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر....

وقد كان للطالب في هذا الطور الحرية في اختيار ما يناسبه من الشيوخ في حالة ما إذا كان الأساتذة قد درسوا نفس المؤلفات تقريبا^(٢٣).

وبذلك تكون المساجد قد قامت بدورها التعليمي، إلى جانب كونها مكانا للعبادة مساعدة المدارس والكتاتيب والمعاهد في قيام نهضة علمية بجميع مناطق السودان الغربي التي وصلها الإسلام، متخذة في ذلك مناهج معينة للتدريس سواء كانت مستوحاة من واقع البلاد نفسها، أو مقتبسة من المناطق المجاورة ذات اتصال بها، ومركزة على مجموعة من العلوم -ثقافية كانت أو عقلية- والتي كانت متداولة آنذاك، نبغ و اجتهد فيها مجموعة من العلماء والمشايخ، من خلال ما دُونوه و أَلّفوه من كتب، ساعدت على التأريخ لتلك المناطق.

بالإضافة إلى المساجد والمدارس والكتاتيب، يكمن أن نضيف الزوايا، لما كان لها من دور كبير في نشر المعرفة في بلاد السودان.

٤- الزوايا:

الزوايا جمع زاوية، و الزاوية في اللغة من زوى، وزوى الشيء يزويه، نجاه ففتحى، وزويت الشيء جمعته وقبضته، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض، إذا تدانوا و تضامنوا.

أما المقصود بالزاوية هنا فهي عبارة عن مكان محاط بجدران و سقف معد لتحفيظ القرآن الكريم، وشتى المتون، و تدريس العلوم الشرعية واللغوية... الخ^(٢٤).

وقد كان للزوايا دور كبير ومماثل للمدارس والمساجد في نشر التعليم، وتثبيت دعائم الإسلام، وقد أنشأت هذه الزوايا من قبل رجال الطرق الصوفية، و قد وصلت إلى السودان الغربي عن طريق علماء توات ورجالها، الذين اشتهروا بكثرة ترحالهم وكثرة بنائهم للزوايا المتعددة الخدمات، والذين قاموا أيضا بنقل ما عندهم من علوم ومعارف إلى مناطق السودان الغربي، و إلى جيرانهم سكان الصحراء^(٢٥).

وبذلك أصبحت تلك الزوايا عبارة عن منارة للعبادة والعلم، ومراكز لإقامة الطلبة، ونزول المسافرين، وإيواء الفقراء وأبناء السبيل.

وتجدر الإشارة إلى الدور الكبير للزوايا التواتية في تحقيق التعريب في السودان الغربي، وفي بث معارفها بين الناس، عن طريق بعث الدعاة المسلمين الذين كانوا يجوبون البلاد الإفريقية، اشتهر منهم الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي استقر بتوات واتخذ منها قاعدة لنشر الإسلام والمبادئ الصحيحة بمناطق السودان الغربي و قبائل "الهوصا"، وبعد وفاته استمر التواتيون يغزون هذه المنطقة بالأفكار والثقافة الإسلامية، حيث استقر كثير من تجار توات بمدينة تومبوكتو وأسهموا في بناء الزوايا والمساجد^(٢٦).

وعلى ذكر الزوايا، ورجال الطرق الصوفية لابد من الإشارة إلى "الطرق الصوفية" والتي كان لها دور كبير في نشر الإسلام، والقضاء على المعتقدات الشائعة كعادة وأد الأطفال، والكهانة والسحر و الشعوذة وقراءة الأثر، واستحضار الأشياء وغيرها، فهي "طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها..."^(٢٧).

والكلام عند هذا المقام عن الطرق الصوفية، سيقصر على الطرق الصوفية الأصلية التي عملت في المنطقة، و كان قوامها الدين الإسلامي الحقيقي وسيرتها مستمدة ومستوحاة من سيرة الرسول - صلى الله عليه و سلم-^(٢٨).

- الشاذلية^(٢٩):

يرجع تأسيس هذه الطريقة الصوفية إلى أبي القاسم الجنيدى الذي تأثر به الشيخ أبو مدين شعيب الأندلسي^(٣٠)، الفقيه الشهير الذي انتشر صيته خلال ق ١٢م. ويرجع الفضل لهؤلاء الذين تأثر بهم الشاذلي، واستند إلى آرائهم وأفكارهم لتكوين هذه الطريقة الصوفية^(٣١)، والتي ظهرت في صيغتين:

- **الناصرية:** نسبت للشيخ محمد بن ناصر الدرعي (ت. ١٠٣٦هـ/١٦٢٦م)، وقد أقامت مراكز بأدرار، مركز تندعة.
- **الغطفية:** تنسب إلى الشيخ محمد الأعطف الداودي الجعفري (ت. ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م) وقد ظهرت بأوجفت منطقة أدرار، وهي مزيج من القادرية والشاذلية، وهي تتميز بالتشرف و الانغلاق^(٣٢).

وقد سبقت الشاذلية، من حيث زمان ظهورها وانتشارها في إفريقيا، كل الطرق الصوفية الأخرى التي عملت في السودان الغربي، ومهدت بذلك الطريق لظهور الطرق الصوفية الأخرى، التي أخذت طريقها إلى غرب إفريقيا السوداء كالقادرية، والتيجانية، والسنوسية، والتي كان لها دور كبير في نشر تعليم اللغة العربية والإسلام وثقافته وحضارته العربية الإسلامية^(٣٣).

- الطريقة القادرية:

انتشرت القادرية في غرب إفريقيا السوداء، كطريقة صوفية خلال ق ١٦م، وذلك رغم أن تطورها الحقيقي كان في بداية ق ١٩م، وخاصة على يد قبائل الحوصة الإفريقية، وقبائل الفلان، التي كانت تقطن حوض السنغال^(٣٤).

ومؤسسها سيدي عبد القادر الجبلاني^(٣٥)، انتقلت إلى وسط إفريقيا في ق ١٥م، و يعد الشيخ عمر بن الشيخ البكائي أول من أوصل هذه الطريقة إلى الأطراف الشمالية للسودان الغربي، حيث أقبل الكثير من السودانيين على الانضمام إليها، وذلك راجع لنشاط دعائها الذين حرصوا على نشر الدين والعلم معاً، بإنشائهم الكثير من المدارس والمراكز في ولايات ثم تومبوكتو.

وتعتبر هذه الطريقة من أقوى الطرق المنتشرة في الصحراء، و اتسعت خريبتها في بلاد السودان على يد الشيخ الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي، وعنه أخذ الطريقة الشيخ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي أحمد الكنتي (٩٥٩هـ/١٥٥٢م)، وأصبحت تسمى بالبكائية^(٣٦).

- الطريقة التجانية:

تأسست التجانية في عين ماضي التي تبعد عن مدينة الأغواط بـ ١٧ كلم، و التي اشتهرت بالحركة التي دبّت فيها بفضل العلماء الذين كانوا يفدون عليها من جميع نواحي إفريقيا الشمالية.

تأسست هذه الطريقة على يد: أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني الذي ولد سنة (١١٥٠هـ-١٧٣٧/١٧٣٨م) بعين ماضي، والذي امتاز بأخلاقه الفاضلة^(٣٧).

وقد ظهرت التجانية في أول أمرها، في غرب إفريقيا السوداء، بواسطة محمد الحفيظ بن المختار بن الحبيب، والذي كان قد زار التجاني في فاس سنة ١٧٨٠م، وقد أخذ هذا الأخير تعاليم و مبادئ التجانية من صاحبها نفسه، وكان للتجانية أكثر من دور، خاصة في غرب إفريقيا ككل، بحيث لم يقتصر دورها على الجانبين الديني والاجتماعي، ولكن تعدى ذلك ليشمل ميادين عدة، منها الميدان السياسي، الذي ساهمت فيه بظهور عدد من الدويلات، والإمارات التي استندت أساسا على تعاليمها ومبادئها لإعلان قيامها، وذلك مثل دولة الحاج عمر (١٧٩٨-١٨٦٥) ودولة الشيخو أحمد وغيرها^(٣٨).

وقد قامت تلك الطرق الصوفية عموما بأدوارها مهمة في الجانب التعليمي:

- ١- تحفيظ القرآن الكريم للطلبة الصغار و الكبار عبر المدن و القرى.
- ٢- الاهتمام بتلقين دروس في اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية فنبغ علماء وفقهاء كثر.
- ٣- عملت على نشر الإسلام في المناطق والأقطار البعيدة عبر الأقاليم الصحراوية والممالك السودانية الوثنية.
- ٤- عملت على نشر العدل و المساواة بين أفراد المجتمع السوداني.
- ٥- ساهمت إلى حد كبير في إرشاد حكام الممالك السودانية في كيفية إدارة الحكم وإصلاح حال الرعية.
- ٦- عملت على تقديم المساعدات المادية من خلال المأكل والإيواء والملبس والتعليم، ورعاية الضعفاء و الأيتام و الفقراء^(٣٩).

وأما بالنسبة للعلوم التي كانت تدرس، فكانت العلوم النقلية من علوم شرعية، وما يتصل بها من علوم لغوية وأدبية، وعلوم عقلية من علم الكلام والمنطق و الفلك.

أما العلوم النقلية، فقد ظلت العلوم الشرعية منها، وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في الحركة الفكرية الإفريقية، وأهم هذه العلوم:

العلوم الشرعية المعتمدة على النص، من تفسير وحديث، ومن أبرزها: كتاب صحيح البخاري ومسلم والشفاء للقاضي عياض.

○ **الفقه:** بانتشار كتب الفقه المالكي المعروفة بالمغرب الإسلامي، وباقى العالم الإسلامي، هي مختصر خليل، وجامع المعيار، وتحفة الحكام، مختصر الفروع والمدونة، والرسالة، وكتاب موطأ مالك.

○ **علوم اللغة والأدب:** من بين العلوم النقلية التي كانت تدرس في المدارس و الجامعات بالسودان الغربي من نحو وبلاغة، ومن الكتب المدرسة نجد: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، وكتاب الأصول لابن السراج، وتلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة، وقد برز علماء أجلاء في هذا الفن من أبناء السودان الغربي، ومنهم: أحمد عمر بن محمد أقيت^(٤١)، وأبو عبد الله أحمد بابا بن المختار التمبكتي^(٤١) (١٥٩٥م/١٠١٤هـ)، والذي اشتهر بمؤلفه "المنح الحميدة في شرح الفريدة" وهو شرح لألفية السيوطي في النحو....^(٤٢)، وأما الأدب من ترجم وتاريخ وشعر، فقد اهتم علماء السودان الغربي بهذا الفن وألفوا فيه مؤلفات عديدة، منها تأليف العلامة أحمد بابا التمبكتي: "تيل الابتهاج بتطريز الديباج"، ترجم فيه ل: ٨٠٢ عالما، و "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج"^(٤٣).

ومن كتب التاريخ "دور الحسان في أخبار ملوك بعض ملوك السودان" لبابا كورين الحاج محمد بن الحاج الأمين، و"تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان" لمؤلف مجهول، و"تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظام الأمور وتقريب أنساب العبيد وعن الأحرار" لصاحبه محمود كعت^(٤٤)، وأما الشعر فقد عرف لونيين: المدح

والرثاء، ففي النوع الأول نجد من الشعراء الذين اشتهروا به الشيخ المختار بن القاضي أندغ محمد الفقيه المختار بن أيداه، أما الرثاء فنجد الشيخ سيدي يحي التادلي يرثي الفقيه محمود بن محمد الكابري^(٤٥).

وأما العلوم العقلية، فكان أبرزها: علم الكلام و المنطق والفلك، فكانت أهم كتبه صغرى السنوسي والجزيرية، أما المنطق، فكان للمغلي دور كبير في هذا المجال، والذي تأثر به تأثرا كبيرا، واهتم به، وكان يرى أن الشرع أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها، والذي كان له دور كبير في تعليمه بالسودان الغربي، وقد كانت مؤلفات المغلي، أبرزها على الساحة الإفريقية، إذ درست بعض من كتبه، وخاصة رجز المغلي، الذي أطلق عليه: منهج الوهاب في رد الفكر إلى الصواب" ومن الذين تأثروا بفكر المغلي: الفقيه محمد بن عمر بن محمد أقيت الذي شرح منهج الوهاب^(٤٦)، ليصبح رجز عبد الكريم المغلي من جملة المتون المقررة على الطلاب بالسودان الغربي خاصة ببلاد سنغاي^(٤٧)، وعلم الفلك كان من بين العلوم التي تدرس، حيث تمت دراسة كتبه المشهورة منها: الهاشمية في التنجيم، ومقدمة الشيخ عبد الرحمن التاجوري...، والملاحظ على السودانيون أنهم لو يولوا أهمية كبرى لتلقين طلابهم العلوم الدقيقة (من جبر وحساب وهندسة..) على خلاف جامعات المشرق والمغرب الإسلاميين والتي كانت تزخر بذلك^(٤٨).

لقد أدى دخول الإسلام إلى الصحراء -عامة- وإلى مناطق السودان الغربي -خاصة- واعتناقه من قبل سكان تلك الربوع، إلى تغيير جذري في جميع مجالات حياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، برزت مظاهر تلك التأثيرات بشكل كبير في الجانب التعليمي، والذي أبدى من خلاله السودانيون اهتماما كبيرا بالعلم و المعرفة، ما أدى إلى تنشيط حركة طلبية العلم والعلماء، والذين حرصوا على الاتصال بمنابع العلم الأولى في أرجاء العالم الإسلامي، وبرز ذلك الاهتمام أيضا من خلال إقامة المؤسسات باختلاف أنواعها والتي أصبحت مراكز إشعاع ثقافي في حواضر السودان الغربي.

الهوامش:

(١) يعتبر المسجد أول المؤسسات التعليمية والدينية في الإسلام، فقد كان منذ تأسيسه في المدينة المنورة، مكانا للعبادة و مدرسة، كانت تنصب فيه مجالس العلم، حيث عملت على نشر القرآن وعلومه بين المسلمين، وللتفصيل حول ذلك، ينظر: محمد منير مرسى، التربية الإسلامية - أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣، ص. ٢٢١ وما بعدها؛ أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ص. ٩، ١٠.

(٢) يسقم السودان إلى ثلاثة أقسام: غربي وأوسط و شرقي، حيث كان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقاليم التي كانت تقطن جنوبي الصحراء الكبرى وهناك من سمى بلاد السودان أثيوبيا، وقسموها إلى ثلاثة أجزاء رئيسية: العليا، السفلى، وبلاد الكفر، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، ص. ٢٩؛ أبو العباس الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت)، ص. ٢٨٣؛ مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص. ٢١٧ وما بعدها؛ مارمولكربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، ١٩٨٩، ص. ١٩٥؛ عبد القادر زبانية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (١٤٩٣-١٥٩١)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص. ١٥؛ عبد القادر زبانية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء - دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩، ص. ١١.

(٣) تومبوكتو: تأسست في أواخر ق٦هـ، و تقع على بعد قليل من نهر النيجر إلى الشمال، يعود بناء هذه المدينة إلى ق١٢م في المكان الذي كان يرتاده الطوارق في فصل الجفاف لتوفر المياه العذبة فيه، و تروي الأساطير المحلية أن الطوارق تركوا في إحدى المرات امرأة منهم اسمها بوكتو لحراسة البئر، و بعد مضي مدة من الزمن أصبح المكان يدعى بتومبوكتو، أي مكان بوكتو، قال عبد الرحمن السعدي: "نشأت على أيدي توارقمشرن في أواخر القرن الخامس للهجرة...". وقال ابن بطوطة: "بينها و بين النيل أربعة أميال و أكثر سكانها مسوفة أهل اللثام..."; ينظر: عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، مطبعة بردين الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، وقف على طبعه هوداس، ١٩٨١، ص. ٢٠، ٢١؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري، بيروت - القاهرة، (د.ت)، ص. ٤٥١؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد

حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص.١٦٥؛ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص.٥٥.

(٤) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.١٩١.

(٥) فاس: مدينتان، بينهما نهر كبير من عيون تسمى عيون صنهاجة، و لها ١٣ بابا، ينظر: عبد الأحد السبتي و حليلة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤، ص.٥٢؛ اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤، ص.٩٤ وما بعدها.

(٦) مراكش: من أعظم مدن المغرب بالفتح ثم التشديد، و ضم الكاف و شيم معجمة، جنوبها جبل درن، شمالها مملكة سلا، غربها البحر، وفي شرقيها الجهات التي بين سجلماسة وفاس، وعن تاريخ التأسيس، ينظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تر: إ. ليفي بروفنسال و ج.س كولان، ج٤، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص.١٩٠، ٢٠؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زبادية، دار الرشاد، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص.١٥؛ اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص.١٠٤؛ عبد الأحد السبتي و حليلة فرحات، المرجع السابق، ص.٣٠ وما بعدها.

(٧) بجاية: هي مدينة عظيمة على ضفة البحر، وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة، ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار....، ص.١٢٨، ١٣١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥، ص.٨٠.

(٨) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.١٩٣.

(٩) محمد بن عبد الكريم المغيلي: (٩٠٩...هـ.....١٥٠٣م): هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، نشأ بتلمسان و درس بها، وأخذ عن الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب التلمساني، كما أخذ عن الإمام عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ يحي بن يدير وغيرهم، ارتحل نحو الجنوب، نحو توات بسبب خلاف مع ملوك بني زيان أو بسبب الحملة التي أعلنها ضد اليهود الذين كانوا يسيطرون على مصادر التجارة والمال والدروب التجارية الرابطة بين توات وبلاد السودان، ويتصرفون بكل حرية في تأسيسهم لشركات تجارية بعدها تمكنوا من شراء نزم الأمراء، وقيل توجهه إلى

السودان أجلى جميع يهود توات سنة (١٤٧٧/هـ٨٨٢م) وبذلك سيطر على كامل القصور التواتية، ينظر: ابن مريم، البستان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦، ص.٢٥٣؛ أحمد بابا التتبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص.٢٥٣؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.١٢٥.

(١٠) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.١٦٨.

(١١) الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب - الدولة السعدية، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥، ج ٥، ص.١٢٩.

(١٢) السعدي، المصدر السابق، ص.١٦٠.

(١٣) الوزان، المصدر السابق، ص.١٦٤، ١٦٥.

(١٤) تقع مدينة جني أو جنة إلى الجنوب الغربي من مدينة تومبوكتو، و قد اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها، فبعضهم قال ما بين (٤٩٤-٤٩٥هـ/١٠١٠-١٠١١م) وذهب آخرون إلى ما بين (٤٣٥-٤٣٦هـ/١٠٤٣-١٠٤٤م)، ينظر: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.٥٤؛ خيرة بلعربي، المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي (٥٥-١١٠هـ/١١-١٦م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تلمسان، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ص.١٦٢.

(١٥) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.١٩٩.

(١٦) غاو: حاضرة إمبراطورية سنغاي، و مقر إقامة سلطانها، و هي مدينة قديمة تقع على ضفة نهر النيجر؛ ينظر: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.٥٣؛ خيرة بلعربي، المرجع السابق، ص.١٦٢.

(١٧) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.١٩٩.

(١٨) نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، دمشق، ١٩٦٠، ص.٢٤.

(١٩) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص.٤٥٠.

(٢٠) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.٢٠١.

- (٢١) مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص.٢٠٢.
- (٢٢) عمار هلال، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، ٢٠٠٧، ص.٧٦.
- (٢٣) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.٢٠٤.
- (٢٤) خالد بوشمة: "زاوية مجاجة ودورها العلمي و الجهادي"، في مجلة: رسالة المسجد، ع٢، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، ٢٠٠٧، ص.٦١، ٦٢.
- (٢٥) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.٢٦٢.
- (٢٦) مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص.٢٦٢، ٢٦٣.
- (٢٧) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٧، ص.٤٩٠؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.٢٥٥؛ وللتفصيل حول تعريف التصوف وأصوله؛ ينظر: عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرن ٧ و ٩هـ (ق ١٣-١٥م)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ٢٠٠٣، ص.١ وما بعدها.
- (٢٨) عمار هلال، المرجع السابق، ص.٩٥.
- (٢٩) نسبة لأبي الحسن علي بن عطاء الله بن عبد الجبار الشاذلي، و لد سنة ٥٩٣هـ-١١٩٦م/ت. ٦٥٦هـ-١٢٥٨م، تتلمذ على يد محمد عبد السلام بن مشيش، و الذي تتلمذ على الشيخ أبي مدين شعيب الأندلسي، ولد بمدينة الشاذلية بتونس أو بقرية غمارة قرب تونس؛ ينظر: ابن مريم المصدر السابق، ص.٢٥٨؛ عمار هلال، المرجع السابق، ص.١٠٠؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص.٢٥٩؛ خيرة بلعربي المرجع السابق، ص.١٧٧.
- (٣٠) سيدي أبي مدين شعيب، هو الإمام المشهور سيدي أبي مدين الغوث شعيب بن الحسن الأندلسي الفاسي البجائي، من كبار تلامذة أبي يعزى وعلى بن حزام و علي بوغال، ولد سنة ٥٢٠هـ، بقطنانية و قيل شوجب، ذكرها لسان الدين قنطلانة، من أعمال إشبيلية، خرج من بلاده صغيرا، دخل طنجة وسبته، وجال في المغرب، سكن بجاية، وتوفي بتلمسان، وبها دفن سنة ٥٩٤هـ، في عهد الأمير يعقوب

المنصور الموحيدي؛ ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٣، المجلد ٠١، ص ١٩١؛ أوب العباس أحمد الخطيب، أنس الفقير وعز الحقيير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، (د.ت)، ص ١١ وما بعدها؛ أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٧، ١٣؛ محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، الجزائر، ٢٠٠٢، المجلد ١، ج ١، ص ١٤٣؛ عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٣.

(٣١) عمار هلال، المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٣٢) ومن الطرق التي تفرعت عن الشاذلية، وانتشرت في المغرب لتأخذ طريقها بعد ذلك إلى غرب إفريقيا السوداء نذكر: الرازية، الغازية، الشابية، وغيرها من الطرق التي تفرعت عنها، في مناطق أخرى وصلت إليها هذه الطريقة؛ ينظر: عمار هلال، المرجع السابق، ص ١٠١ و ما بعدها؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٣٣) عمار هلال، المرجع السابق، ص ١٠٨؛ خيرة بلعربي، المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٣٤) عمار هلال، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٥) ولد سنة ٤٧١هـ/ت. ٥٦١ هـ - ١١٦٦م عاش ببغداد حيث اتصل بشيوخ التصوف، و أخذ عنهم وبرع في أساليب الوعظ والإرشاد، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ؛ ينظر: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص ٢٥٥؛ عمال هلال، المرجع السابق، ص ١٠٨ وما بعدها؛ خيرة بلعربي، المرجع السابق، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٣٦) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(٣٧) عمار هلال، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٣٨) عمار المرجع نفسه، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٣٩) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٤٠) أحمد بن عمر بن محمد أقيت: هو من العلماء و الأسرة الشهيرة ببلاد السودان، نبغ منها الكثير، منها أحمد بن عمر بن أقيت، و القاضي العاقب، قاضي تومبوكتو، الراحل للمشرق؛ ينظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٣٤٩هـ، ص. ٢٨٦؛ مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. ١٩٢، ٢٢٥، ٢٢٧؛ خيرة بلعربي، المرجع السابق، ص. ١٧٤.

(٤١) أحمد بابا ابن الأمين المختار التمبكتي: هو أبو العباس أحمد بن أحمد المسوفياالتبكتي، أسرته أسرة علمية، كانت فيهم وظيفة القضاء، و من ثم كانوا من الوجهاء في المنطقة، من شيوخه الذين تركوا بصماتهم عليه محمد بغيغ، فقد ذكر أنه قرأ عليه ٢٤ كتابا، كما أخذ العلم في مكة المكرمة أثناء حجته، مولده كان سنة ٩٦٣ هـ، توفي في شعبان في تومبوكتو سنة ١٠٣٢هـ؛ ينظر: محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص. ٢٩٨؛ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. ٨١، ٨٢.

(٤٢) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. ٢٠٧.

(٤٣) مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص. ٢٠٨.

(٤٤) محمود كغن: ولد في منطقة كورما غرب مدينة غاو، أخذ العلم عن علماء تومبوكتو و فقهاءها، برع في الأدب و الفقه، تلقد منصب القضاء، عاصر الحاج محمد الكبير أسقيا دولة سنغاي (١٤٩٣- ١٥٢٨م)؛ ينظر: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. ٢١٦، ٢١٩.

(٤٥) محمود بن محمد الكابري: نسبة لمدينة كابر، ميناء تومبوكتو، ينتمي إلى أسرة علمية شهيرة بالسودان؛ ينظر: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. ٢١٦، ٢١٩.

(٤٦) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. ٢١١.

(٤٧) بلاد سنغاي: نسبة إلي قبيلة تقطن في نهر النيجر إلى حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد الأولى، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال نحو النيجر، أول ملك حكم سنغاي هوزا أمين، ومعناه جاء من اليمن، وهي تأتي كثالث حلقة في تاريخ السودان الغربي، إذ يمكن القول أنها آخر وريث لعرش الحكم و القوة في غرب إفريقيا؛ ينظر: عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي....، مرجع سابق، ص. ٢٥؛ خيرة بلعربي، المرجع السابق، ص. ١٦٠.

(٤٨) مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. ٢١٢.

قائمة المصادر والمراجع

١. مرسي محمد منير ، التربية الإسلامية - أصولها و تطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣.
٢. سعد الله أبو القاسم ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣
٣. ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢
٤. القلقشندي أبو العباس ،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت)
٥. مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥
٦. كريخالمارمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، ١٩٨٩
٧. زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (١٤٩٣-١٥٩١)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)
٨. زبادية عبد القادر، الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء - دراسات و نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩
٩. السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان، مطبعة بردين الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، وقف على طبعه هوداس، ١٩٨١
١٠. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري، بيروت - القاهرة، (د.ت)
١١. الوزان الحسن ، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣
١٢. بودوايه مبخوت ، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، ٢٠٠٥/٢٠٠٦

١٣. السبتي عبد الأحد وحليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤

١٤. العربي اسماعيل ، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤

١٥. المراكشي ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تر: إ. ليفي بروفنسال و ج.س كولان، ج٤، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠

١٦. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في نكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زيادية، دار الرشاد، الدار البيضاء، ١٩٧٩

١٧. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥،

١٨. ابن مريم، البستان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦، ص.٢٥٣؛ أحمد بابا التتبيكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)،

١٩. السلاوي الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب - الدولة السعدية، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥، ج٥

٢٠. بلعربي خيرة ، المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية و الثقافية في المغرب الإسلامي (١٠هـ-١١٠هـ/١١م-١٦م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تلمسان، ٢٠٠٩-٢٠١٠، قداح نعيم ، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، دمشق، ١٩٦٠، ص.٢٤..

٢١. هلال عمار ، الطرق الصوفية و نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، ٢٠٠٧.

٢٢. بوشمة خالد: "زاوية مجاجة ودورها العلمي والجهادي"، في مجلة: رسالة المسجد، ع٢، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ٢٠٠٧

٢٣. بن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٧

د. معازيز عبد القادر

د. سكاكو حورية

٢٤. عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرن ٧ و ٩هـ (ق ١٣-١٥م)، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، ٢٠٠٣
٢٥. ابن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣، المجلد ٠١
٢٦. الخطيب أبو العباس أحمد ، أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، (د.ت)
٢٧. الغبرينيا أبو العباس أحمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر، الجزائر، ٢٠٠٧
٢٨. شاوش محمد بن رمضان والغوثي بن حمدان، الأدب العربي الجزائري عبر النصوص، الجزائر، ٢٠٠٢، المجلد ١
٢٩. محمود عبد الحليم ، أبو مدين الغوث، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
٣٠. مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٣٤٩هـ